

## «الأمير الخاطئ»... الذي يخيف الغرب

منذ أن تسلّم محمد بن سلمان أول منصب سياسي له كوزير للدفاع، كانت أنظار المحللين الغربيين متوجهة إليه على أنه الأمير الشاب الذي لا يتمتع بخبرة سياسية. بعدها، بدأت المصحف تركيزه على «خطره» في مقاربته للسياسة الخارجية عموماً، وتهوّره في اليمن وسذاجته في إطار الأزمة مع قطر خصوصاً، لتأتي بعد ذلك كلّه قضية اعتقال الأمراء والأثرياء السعوديين في فندق الـ«ريتز — كارلتون» وتأكد بعض الأحكام التي أُطلقت على تصرّفاته

### نادين شلق

في مواجهة ثنائية القول والفعل، يروّج عدد كبير من المراقبين والمطّلعين والمشمولين بقرارات محمد بن سلمان، أن هذا الأخير تمكّن خلال فترة استثنائية من تحقيق ما لم يحققه أي من أسلافه، أو حتى ما لم يفكّر أي منهم في القيام به. واكبت المصحف، الغربية منها والعربيّة، «إنجازاته» ورافقتها البعض بالتفنّي بـ«إصلاحاته». تنتّج كاتب من هنا ليشيد بتمكين المرأة من قيادة السيارة، وزّها آخر هناك بإعلان السماح بإقامة حفلات لمغنّين وموسيقيين أجانب وعرب في مدن سعودية...

في هذا الوقت، كانت الحرب على اليمن تستعر من دون تحقيق أي نتيجة سوى القتل والدمار الذي ألبّ الرأي العام العالمي والقادة السياسيين على النظام السعودي، كذلك الأمر بالنسبة إلى الأزمة التي استحدثها ولي العهد مع قطر. الأمير كان يخطو خطواته من دون أن يخطّط لها، أو على الأقلّ هذا ما يدل عليه اتجاه الأمور على صعيد السياسة الخارجية، حيث يتضح مع مرور الوقت عدم وجود تقدير واضح لكلّ ما يجري تنفيذه. وإن ارتقى بعض الكتاب الغربيين للتطرّق إلى هذه «الأزمات المتلاحقة» التي يُدخل المملكة فيها، فانطلاقاً من كونه «شا باً ثلاثينياً متھوّراً ومتعطّشاً للسلطة». هذا الشاب نفسه اعتقل أكثر من 200 أمير وثري سعودي في فندق الـ«ريتز — كارلتون». حدثٌ واكبته البعض كجزء من «إصلاحات سياسية داخلية» لا بدّ منها، وقاربها على أنها طوق نجاه للمملكة من «مرض الفساد» الذي يستشرى فيها، منذ عقود، فخرجت نصوص غربية تبجيّل هذه الخطوة بأسلوب تجميلي، بغرض النظر عن هدفها الحقيقي أو النتيجة المرجوّة منها.

لديه رؤية لشعبه وأخرى لنفسه

وهل يمكن التغاضي عن المقال الذي نشره توماس فريدمان في صحيفة «نيويورك تايمز» ، قبل نحو أسبوعين، والذي استدعي شجاعاً لما ورد فيه من تعظيم للأمير الشاب وإصلاحاته؟ «لم أعتقد يوماً أنني سأعيش كفاية لأكتب هذه الجملة: أهم عملية إصلاح تجري الآن في الشرق الأوسط هي في السعودية. نعم، إنك تقرأ ذلك بشكل صحيح. على الرغم من أننيأتيت إلى هنا في بداية الشتاء السعودي، وجدت أن البلد يعيش ربشه العربي الخاص، وفق الأسلوب السعودي».

فريدمان آثر الإشارة إلى أنه واكب «الربيع السعودي» بأم العين، فهو زار السعودية وجلس مع ولد العهد وقابل أناساً في الشارع ليسألهم عن رأيهم بمختلف التطورات التي تعيشها المملكة، إلا أن ما كتبه عن هذا الموضوع لم يكن مقنعاً. وقد وجه بانتقادات من محللين غربيين، استشفوا مغالاة في وصفه لهذا الربيع على أنه «يُقاد من الأعلى إلى الأسفل»، بل في تأكيده أن نجاح ما يجري القيام به «لن يغير طابع المملكة، بل لهجة الإسلام ومضمونه في مختلف أنحاء الكورة الأرضية».

المدافعون مثل توم فريدمان يقومون بأعمال الديكتاتوريين القذرة»، كتبت كلوي فولر في مجلة «نيوزويك»، لتشكل مثالاً على ما واجهه فريدمان من ردود فعل زملائه في الغرب.

الاعتقالات كانت متداولة بكثرة في الصحف الغربية، وكذلك شراء ابن سلمان لقصر في فرنسا ويخت ضخم ولوحة فنية نادرة، الأمر الذي رأت فيه «ذي واشنطن بوست» «نفاقاً»، فأشارت إلى أن الأمير السعودي «غطّ رؤيته بطعنه العظمة»، متسائلة: «لماذا قرر ولد العهد، الذي يحتاج صد الثراء الذاتي من قبل أقرانه وزملائه، صرف أكثر من نصف مليار دولار على اليخت الضخم والفيلا في فرنسا؟». وخلصت الصحيفة الأمريكية إلى أن «الرمزية مرعبة، وهي تستوجب أن ابن سلمان لديه رؤية، واحدة لشعبه وأخرى لنفسه».

### المقام السياسي

بناءً على ما تقدم، تشعبت أسئلة كثيرة كان لا بدّ من طرحها، ووجدت صدى لها في صحف أميركية وبريطانية أخرى، راقبت ما يقوم به «ملك الأمر الواقع»، على تفهم مجريات الأحداث وأين ستتصبّح الحقبة المستجدة التي تمرّ بها السعودية، التي طالما كان سلوكها متوقعاً، بقيادة ملوك وأسلاف لا بن سلمان يعملون وفق كتيبة معايير واضح المعالم بالنسبة إلى الداخل والخارج.

كان هناك شيء إجماع، مباشر وغير مباشر، على أن هذا الشاب «خطير». «وزير الدفاع السعودي محمد بن سلمان عدائٍ وطموح» قال يل لاو في صحيفة «ذي إنديpendent» البريطانية، لافتاً إلى أن «السلطة وليس المال، ما يقوده». الحماسة ذاتها قادت الإصلاحات الاقتصادية، أدخلت السعودية في حرب فوضوية في اليمن، بحسب لاو الذي أشار إلى أن القول إن «المتمرّدين مدعاومون من إيران، جعل المغامرة أكثر جاذبية».

أما الصيغة الأخرى لخطوته، فتلفّظ بها الاقتصادي جايسون توفيفي الذي قال للـ«إنديندنت»، إن ولي العهد «مولع بالقتال». ولكن هذا الأخير، مثل غيره من المحلاّلين، كان متأثراً بما يقوم به ابن سلمان في إطار «الحلول» للمشاكل الاقتصادية التي تواجهها المملكة، إذ رأى أنه «على الجبهة الاقتصادية، قام بعمل جيد جداً». غيره في السياسة، وينبغي أن يتلقى الثناء في هذا المجال».

في ذي «إنديندنت» أيضاً، كان باتريك كوكبرن الأكثر انتقاداً وتحذيراً من خطر محمد بن سلمان. وفي مقال نشره منذ نحو شهرين، رأى أن «الخطر الكبير في الشرق الأوسط اليوم هو أن ولي العهد محمد بن سلمان و(شهر الرئيس الأميركي دونالد ترامب) جارد كوشنير لديهما فهم منحرف وغير منطقي للعالم حولهما». وفيما رأى الكاتب المتخصص بشؤون المنطقة أن «لا أحد يربح الكثير من حرب جديدة في الشرق الأوسط»، فقد استند إلى ما مفاده أن «الحروب عادة يبدأها هؤلاء الذين يخطئون في تقدير نقاط قوتهم ومصالحهم».

بناءً على هذه المعادلة، كان هناك تطابق بين كوكبرن وغيره من النقاد والمحلاّلين، الذين وجدوا أوجه شبه كبيرة أو ما يمكن تسميته نقاط التقاء بين محمد بن سلمان ودونالد ترامب. ومن هذه الزاوية، كتب كوكبرن في مقال آخر أن «ترامب وابن سلمان أخطر رجلين في العالم». الأمير محمد بن سلمان «ليس رجلاً يتعلّم من أخطائه أو حتى يلاحظ أنه قام بها»، قال الكاتب، مشيراً إلى أنه «بعد أقل من عام على تسلّم والده العرش، أصدرت الاستخبارات الألمانية تحذيراً قالت فيه إن السعودية تبنّت سياسة تدخّل متھورة» في الخارج، ملقية باللوم على ابن سلمان الذي وصفته بـ«الساذج والمقاوم السياسي».